تعليقات

سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبد اللّٰه آل الشيخ

حفظه اللّٰه

على

«القواعد الأربع

للشيخ محمد عبد الوهَّاب»

رحمه اللّٰه

النُّسخة الإلكترونية الثَّانية

الشيخ لم يراجع التفريغ

قال المؤلِّف رَحِمَهُ اللهُ تعالى:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

أَسْأَلُ اللهَ الكَرِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَتَوَلاَّكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتَ، وَأَنْ يَجْعَلَكَ مِمَّنْ إِذَا أُعْطِيَ شَكَرَ، وَإِذَا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وَإِذَا أَذْنَبَ اسْتَغْفَرَ، فَإِنَّ هَؤلاءِ الثَّلاث عُنْوَانُ السَّعَادَةِ.

اعْلَمْ - أَرْشَدَكَ اللهُ لِطَاعَتِهِ - أَنَّ الحَنِيفِيَّةَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَحْدَهُ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ؛ وَبِذَلِكَ أَمَرَ اللهُ جَمِيعَ النَّاسِ وَخَلَقَهُمْ لها؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾[الذَّاريات].

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ اللهَ خَلَقَكَ لِعِبَادَتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّ العِبَادَةَ لاَ تُسَمَّى عِبَادَةً إِلَّا مَعَ التَّوحِيدِ، كَمَا أَنَّ الصَّلاَةَ لاَ تُسَمَّى صَلاَةً إِلَّا مَعَ الطَّهَارَةِ، فَإِذَا دَخَلَ الشِّرْكُ فِي العِبَادَةِ فَسَدَتْ، كَالحَدَثِ إِذَا دَخَلَ فِي الطَّهَارَةِ.

فَإِذَا عَرَفْتَ أَنَّ الشِّرْكَ إِذَا خَالَطَ العِبَادَةَ أَفْسَدَهَا وَأَحْبَطَ العَمَلَ، وَصَارَ صَاحِبُهُ مِنَ الخَالِدِينَ فِي النَّارِ، عَرَفْتَ أَنَّ أَهَمَّ مَا عَلَيْكَ مَعْرِفَةُ ذَلِكَ؛ لَعَلَّ اللهَ أَنْ يُخَلِّصَكَ مِنْ هَذِهِ الشَّبَكَةِ، وَهِيَ الشِّرْكُ بِاللهِ الَّذِي قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النِّساء: ٤٨، ١١٦]، وَذَلِكَ بِمَعْرِفَةِ أَرْبَعِ قَوَاعِدَ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ.

القَاعِدَةُ الأُولَى

أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الكُفَّارَ الَّذِينَ قَاتَلَهُم رَسُولُ اللهِ ﷺ، مُقِرُّونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَى هُوَ الخَالِقُ المُدَبِّرُ، وَأَنَّ ذَلِكَ لَمْ يُدْخِلْهُم فِي الإِسْلَامِ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس].

القاعدة الأولىٰ أنّ تعلم أنّ كفار قريش؛ بل من قبلهم من أمم الأنبياء مقرُّون بأن الله الخالقُ الرازق المحيي المميت المتصرِّف في الكون بما شاء، أمرٌ مستقر عندهم، ومع هٰذا ما أدخلهم هٰذا في الإسلام، ولا اعتُبِروا بذلك مسلمين؛ بل اعتُبِروا كفارا ضالين مضلين؛ لأنَّ الإقرار بأن خالق الخلق ورب العباد أمرٌ فطري ما أنكره أحد إلا فرعونُ؛ وأنكره بلسانه مع اعتقاده في قلبه خلاف ذلك ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾[النمل]، فهؤلاء المشركون يقرّون بأنَّ الله ربهم، من ربك؟ قال: الله. من خلقك؟ قال: الله. من يرزقك؟ قال: الله. من أحياك؟ قال: الله. من يميتك؟ قال: الله. من يملك سمعك وبصرك؟ قال: الله. أمرٌ لا يشكون فيه؛ بل يخلصون في الشدائد لله؛ لكن هٰذا ما نفعهم؛ لأنهم طولبوا بلازم ما أثبتوه، فلما أثبتوا توحيد الربوبية من لازم ذلك أن يخلصوا لله التَّوحيد، وأن تتوجَّه القلوب إلىٰ الله خوفًا ومحبة ورجاء، وأن تتعلَّق قلوبهم بربهم، وأن لا يجعلوا مع الله إلهًا آخر يعبدونه ويعظّمونه، ولا يجعلوا لله شُبَهَاء ونظراء قال جل وعلا: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[البقرة]، فهم يعلمون أنَّ الله خالقهم، إذن فيجب أن يكون الله وحده معبودهم دون سواه، وأن لا يكون لهم معبود غير الله؛ بل الله معبودهم الذي تتعلَّق القلوبُ به محبَّةً

وخوفا ورجاء.

المهم أن الإقرار بتوحيد الربوبية لم يدخل كفار قريش في الإسلام؛ لأن النزاع بينهم وبين محمد ﷺ ليس في هٰذا، الخصام بينهم في أن محمدا قال لهم: «**قولوا: لا إلٰه إلا الله**» قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ۝٥﴾[ص]، وكما قال أبو سفيان لهرقل لما سأله: ما يأمركم؟ قال: يقول: «**اعبدوا الله وحده ولا شريك له، واتركوا ما كان يعبد آباؤكم**». هٰذه حقيقة ما جاء به، فهم رفضوا ذلك؛ يعني ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ۝٣٥ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ۝٣٦﴾[الصافات]، فإقرارهم بالربوبية ما أدخلهم في الإسلام؛ لأنه لابد أن يأتوا بلازم ذلك وهو إفراد الله وإخلاص التَّوحيد له.

القَـاعِدَةُ الثَّـانِيَةُ

أَنَّهم يَقُولُونَ: مَا دَعَوْنَاهُم وَتَوَجَّهنَا إِلَيْهِم إِلَّا لِطَلَبِ القُرْبَةِ وَالشَّفَاعَةِ.

فَدَلِيلُ القُرْبَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [الزُّمَر].

وَدَلِيلُ الشَّفَاعَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

القاعدة الثانية أن كفار قريش ومن سبقهم من أمم الأنبياء ما عبدوا من دون الله إلا لأمرين:

كونُهم يعتقدون أن هٰذه المعبودات تقرِّبهم لربهم.

وكونهم يعتقدون أنهم يشفعون لهم عند ربِّهم.

أولا: فهم يقولون: ما عبدنا اللات والعزىٰ ومناة الثالثة الأخرىٰ إلا أننا إذا عبدناهم قرَّبونا إلىٰ الله، وأدنونا من ربنا، نحن أهل ذنوب ومعاصي ومخالفات، فنريد من يأخذ بأيدينا ويقرِّبنا بربنا.

ثانيا: عبدناهم ليكونوا شفعاء لنا عند الله، فطلبوا الشفاعة منهم، قال الله تَعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[الزمر:٠٣]، فهم لما قالوا: نعبدهم ليقربونا إلىٰ الله زلفا. قال الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

إذن فهم أرادوا القربىٰ من تلك المعبودات ما بين أموات وغائبين وأشجار وأحجار، المخلوقون منهم لا يسمعون من دعاء من دعا ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[الأحقاف:٠٥]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾[الأعراف]، والشفاعة أيضا في قول الله جل وعلا: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ﴾[يونس:١٨]، هكذا يقولون.

والشفاعة ملك لله، لا يجوز أن تطلب وتبتغىٰ من غير الله، إنما تُطلب من مالكها وهو ربُّ العالمين؛ قال تَعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَـٰعَةُ جَمِيعًا﴾[الزمر:٤٤]، وقال: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[الأنبياء:٢٨].

فالشفاعة: لابد من إذن الله للشافع أن يشفع، ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾، فلابد أن يأذن للشافع أن يشفع، ولابد أن يرضىٰ الله عن المشفوع ليشفع فيه، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، فطلب الشفاعة من غير الله سفه وجهل، أُطلبها من من يملك وقل: اللّٰهمَّ شفع فيّ نبيك. اللّٰهمَّ شفع فيّ عبادك الصالحين.

وَالشَّفَاعَةُ شَفَاعَتَانِ: شَفَاعَةٌ مَنْفِيَّةٌ، وَشَفَاعَةٌ مُثْبَتَةٌ.

فَالشَّفَاعَةُ المَنْفِيَّةُ: مَا كَانَتْ تُطْلَبُ مِنْ غَيرِ اللهِ فِيمَا لاَ يَقْدِرُ عَلَيهِ إِلَّا اللهُ.

وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ وَٱلۡكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ﴾ [البقرة].

الشفاعة المنفية وهي التي تطلب من غير الله لـهٰذا قال: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[المدثر].

وشفاعة مثبتة وهي المطلوبة من الله بإذنه للشافع ورضاه عن المشفوع له.

وَالشَّفَاعَةُ الْمُثْبَتَةُ هِيَ الَّتِي تُطْلَبُ مِنَ اللهِ، وَالشَّافِعُ مُكْرَمٌ بِالشَّفَاعَةِ، وَالْمَشْفُوعُ لَهُ مَنْ رَضِيَ اللهُ قَوْلَهُ وَعَمَلَهُ بَعْدَ الإِذْنِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[البقرة: ٢٥٥].

والشافع مكرم بالشفاعة، يكرم الله ذلك المؤمن حتىٰ يشفّعه في المؤمنين، أما الكفار فلا تنفع فيهم شفاعة ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[البقرة:٤٨]، إنما يكرم الله المؤمن بأن يشفِّعه في أهله، في آبائه، في أولاده، فيمن يشفع فيهم من المسلمين.

أما طلبها من غير الله فضلال وخسارة، إنما يكرم الله الشافع فيشفع، ويرضىٰ عن المشفوع له، وهو الموحد المخلص الذي ارتكب كبائر وترك واجبات، ودخل النار بحسب ذنبه، فإن الشُّفعاء يُمَكَّنُون فيشفعون فيخرجون من النار، فيشفع فيهم الشفعاء فيخرجهم الله بشفاعته من النار، ولهذا محمد ﷺ يقول: «إن كل نبي استعجل دعوته، وأنا ادخرتها فهي إن شاء الله لمن مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا».[(١)]

ﮂﮂ ◈ ﮁﮁ

(١) أخرجه البخاري، حديث رقم (٧٤٨٤)، ومسلم، حديث رقم (١٩٨).

القاعدة الثالثة

أنَّ النَّبيَّ ﷺ ظَهَرَ عَلَى أُناسٍ مُتفرِّقِينَ في عِبَادَاتِهِم؛ مِنْهُمْ مَنْ يَعْبُدُ المَلائِكَةَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ الأَنبيَاءَ وَالصَّالِحِينَ، وَمِنْهُم مَنْ يَعْبُدُ الأَشْجَارَ وَالأَحْجَارَ، وَمِنْهُم مَن يَعْبُدُ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ، وَقَاتَلَهُم رَسُولُ الله ﷺ، وَلم يُفَرِّقْ بَيْنَهُمْ، وَالدَّلِيلُ قَولُهُ تعَالَى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩].

وَدَلِيلُ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فُصِّلَت].

وَدَلِيلُ المَلائِكَةِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ﴾ [آل عمران: ٨٠].

وَدَلِيلُ الأَنبِيَاءِ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ [المائدة].

وَدَلِيلُ الصَّالِحِينَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ﴾ [الإسراء: ٥٧].

وَدَلِيلُ الأَشْجَارِ وَالأَحْجَارِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَرَءَيۡتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلۡعُزَّىٰ ١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾ [النجم]، وَحَدِيثُ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيثِيِّ ﵁، قَالَ: «خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ، وَلِلمُشْرِكِينَ سِدْرَةٌ يَعْكُفُونَ عِنْدَهَا وَيَنُوطُونَ بها أَسْلِحَتَهُم، يُقَالُ لها: ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَمَرَرْنَا بِسِدْرَةٍ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، اجعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ...» الحديثَ.(١)

القاعدة الثالثة أن الله جل وعلا بعث محمدا ﷺ لأقوام متفرِّقين في عباداتهم، متباينين في ضلالاتهم، فلما بعثه الله تَعَالىٰ دعاهم إلىٰ التوحيد وإخلاص الدِّين لله، فمن استجاب وقبل وانقاد فهو المسلم له ما للمسلمين وعليه ما علىٰ المسلمين، ومن أبىٰ واستكبر وأصرَّ علىٰ كفره وضلاله قاتلهم النبيُّ ﷺ حتىٰ يوحدوا الله ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وهم ما بين عابدٍ لأشجار وأحجار وأنبياء وملائكة وغير ذلك.

دليل العابدين للشمس والقمر قول الله جل وعلا: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ٣٧﴾ [فُصِّلَت] إذن الله ينهانا عن السجود للشمس والقمر، ويأمرنا بالسجود لمن خلق الشمس والقمر؛ لأنَّ الشمس والقمر مخلوقات، فلا يليق أن أصرف الحقَّ العظيم للمخلوق وأدع الخالق المتصرّف، هٰذا أعظم الظلم

(١) أخرجه الترمذي في سننه، رقم (٢١٨٠). وقال: هٰذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني.

أكبر الجرم، لهٰذا قال: ﴿لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ والشمس والقمر آيتان من آيات الله ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾.

ودليل من كان يعبد الملائكة قول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا ..﴾ يعني هٰذا النبي محمد لا يأمركم بذلك ﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (٨٠)﴾[آل عمران] لا يليق به أن يأمركم أن تتخذوا الملائكة أربابا أو الأنبياء أربابا، إنما جاء ليأمركم بأن تعبدوا الله لا تشركوا به شيئا.

هناك دليل عليها أيضا ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ (٤١)﴾[سبإ]، الملائكة يتبرؤون إلىٰ الله وقالوا: ما أمرناهم، ولا رضينا بذلك، ولا علمنا، المعلوم أنهم يعبدون الجن، أما نحن فعبادك الخاضعون لأمرك، كما قال جل وعلا: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ (٢٠)﴾[الأنبياء].

ودليل الأنبياء قول الله عن عيسىٰ ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ تبرَّأ عليه السلام من ذلك وقال: ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ لأنّ العبادة حقٌّ لله لا حق لي، ﴿إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦)﴾ مع أنه ما قالها؛ لكنه قال: -تأدبا مع الله- إن يكن صدر مني ذلك فأنت أعلم بها مني، ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾[المائدة:١١٧]، وهكذا الأنبياء كلهم إنما قالوا لقومهم: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾.[1]

ودليل عبادة الصالحين قول الله جل وعلا: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي: أولئك الذين يدعون المشركون هم قوم يتقربون إلىٰ الله يرجون رحمة الله ويخافون عذابه ﴿يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ﴾ بطاعته ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ فإذا كانوا ما بين راج وخائف وطالب لرضا الرب جل وعلا، فكيف يدعا؟ فالصالحون يرجون رحمة الله، ويخافون عذاب الله، ويتبرؤون من حولهم وقوتهم، فكيف تتخذونهم أربابا، تصرفونهم خالص حق الله.

والدليل علىٰ ذم من عبد الأشجار والأحجار قول الله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ (٢٠) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ (٢٢) إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾[النجم].

إذن فاللات والعزىٰ هي أشجار معروفة تعبدها قريش وتريق الدماء عليها وتحلف بها ويقول أبو سفيان يوم أحد: لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم. قال رسول الله: «الله مولانا ولا مولىٰ لكم»[2] قال: «من حلف

---

(١) سورة: الأعراف الآية (٥٩)، هود الآية (٥٠، ٦١، ٨٤)، المؤمنون الآية (٢٣، ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، حديث رقم (٣٠٣٩).

باللات والعزّىٰ فليقل: لا إلٰه إلا الله».(١)

حديث أبي واقد قال: (خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ، وَنحنُ حُدَثَاءُ عَهْدٍ بِكُفْرٍ) ممن أسلم يوم الفتح ورأوا الكفار يعلقون علىٰ الأشجار أسلحتهم تبركا بها، فقالوا: (يَا رَسُولَ الله، اجعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ قال: «الله أكبر») تعظيما لله، «**إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنوا إسرائيل لموسىٰ:** ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾»).

﴿قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾[الأعراف].

قال الله: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتَوۡاْ عَلَىٰ قَوۡمٖ يَعۡكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصۡنَامٖ لَّهُمۡۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ هم مع موسىٰ الذي يدعوهم إلىٰ عبادة الله لما رأوا أولئك قالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ ﴾ قال موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: ﴿إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٣٩ قَالَ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِيكُمۡ إِلَٰهٗا وَهُوَ فَضَّلَكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٤٠﴾ فغير لائق أن آمركم بعبادة غير الله وإنما آمركم بتوحيد الله.

فذات أنواط أرادوها بسبب التبرك ويعلقون بها أسلحتهم فهي شرك:

- وإن اعتقدوا أن لها تأثيرا في ذلك فهو شرك أكبر.
- إن اعتقدوا أنها سبب فهٰذا شرك أصغر.

(١) أخرجه **البخاري**، حديث رقم (٤٨٦٠)، **ومسلم**، حديث رقم (١٦٤٧).

القَـاعِدَةُ الرَّابِـعَةُ

أَنَّ مُشْرِكِي زَمَانِنَا أَغْلَظُ شِرْكًا مِـنَ الأَوَّلِـينَ؛ لأَنَّ الأَوَّلِـينَ يُشْــرِكُونَ فِي الرَّخَـاءِ وَيُخْلِصُـونَ فِي الشِّـدَّةِ، وَمُشْرِكُو زَمَانِنَا شِرْكُهُم دَائِمًا فِي الرَّخَاءِ وَالشِّدَّةِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[العنكبوت].

[والله أعلم وصلىٰ الله علىٰ محمد وآله وصحبه وسلم]

القاعدة الرابعة يقول الشيخ: إن المشركين في زمننا أغلظ شركا من مشركي الزمان السابق، فكان أهل الجاهلية إذا حلت بهم المصائب واضطربت بهم أمواج البحر قالوا: إنه لن ينجيكم إلا أن تخلصوا لله دعاءكم فينسون اللات والعزىٰ ومناة.. وكل شيء، ويدعون الله وحده ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ ...﴾[العنكبوت][1] فالمشركون في زمن النبي يخلصون لله التوحيد في الشدائد ويشركون في الرخاء، ومشركو المتأخرين يشتد شركهم حتىٰ في الشدائد؛ فإذا نزلت بهم العظائم قالوا: يا علي، يا حسين، يا بدوي.. يا فلان يا فلان، فأشركوا مع الله غيره في رخائهم وشدتهم، بخلاف كفار قريش فشركهم في الرخاء ويوحدون في الشدة، وأولئك يشركون بالله في شدائدهم ورخائهم.

تمت هٰذه القواعد الأربع المستنبطة من كتاب الله، وغفر الله بلشيخ، وهي قواعد:

القاعدة الأولىٰ: أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله أنهم مقرون بالربوبية ولم ينفعهم ذلك.

القاعدة الثانية: أنهم أيضا ما أردوا بمن دعوا إلا القربة والشفاعة.

القاعدة الثالثة: تنوع معبوداتهم من دون الله من أنبياء وصالحين وملائكة وأشجار وأحجار.

القاعدة الرابعة: إخلاصهم في الشدائد وشركهم في الرخاء خلافا لمشركي المتأخرين.

تمت هٰذه القواعد فغفر الله للشيخ وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

وبارك في مساعي قناة المجد وجعلها قناة خيرة ومنبرا من منابر الخير والهدىٰ ومفتاحًا للخير وداعية إلىٰ الله، ووفق الله الجميع وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد.

(١) والآية الأخرىٰ ﴿ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ ﴾ من سورة لقمان.